ثلاث قصص قصيرة

الطلسم

على بوابة الخان : مسامير ثقيلة صدئة ، تكوّن فيما بينها حلقات ومثلثات ، تحتل القسم الوسطي والسفلي من البوابة . والمطرقة الحديدية « رأس الاسد المتوثب » كانت معطلة عن العمل . ثمة جملة بسيطة كانت قد خطت بيد واهنة وبالبوية الخضراء ، تآكلت بفعل الشمس . كان الخبير الاجنبي والمختص بالانتيكات الشرقية قد أبدى اعجابه ، وكانت عيناه وهما تتفحصان البوابة ، تمرّان بالجملة المكتوبة في الاعلى وتتخطيانها ، فان ما يهمه هو عمر هذا الخشب وهذه الصناعة ، وكل تلك الشقوق التي يموت فيها ظلام بغدادي قديم .

داخل الخان ، ثمة بضائع من كل صنف : أطوال أقمشة ، براميل فيها مواد كيماوية ، عطور ، أقداح وأواني خزفية ، لعب أطفال ... الخ . كانت محفوظة في صناديقها ومكوّمة فوق التراب ومهملة ، لان العمل كان قد توقف ، والرجل الذي كان قد نقل كل هذه الاشياء ، موجود في احدى غرف الخان لا يقوى على الحركة . خمسون عاما والرجل هنا . جاء وهو صبي مع عائلته الفارسية الى الكاظمية من أجل « الزيارة » . وفي زحام « الزيارة » ، آلاف الرؤوس ، آلاف البشر المحتشدين يتدافعون ، يشدونه ويجرفونه بينهم ويملأون رأسه بكلام وصياح غامض مدوخ . لقد فقد عائلته ، غير انه لم يذرف دمعة واحدة من أجل ذلك . جاء بالضبط في الوقت الذي جاءت فيه البوابة . كان قد عمل سقاء للماء في الكاظمية ، غير انه قرر في النهاية أن ينتقل الى « الشورجة » ، حيث أمضى حياته هنا في زقاق الخانات بهدوء .

في أوقات الظهيرة ، كان هذا الرجل ، والذي تنتشر من وجهه لحية كثة عريضة ، يجلس بجثته الضخمة قريبا من بوابة الخان ، يلامس أكتاف الاطفال ورؤوسهم ، ويدفع بحبات الهيل الى جيوبهم ، ويرسلهم حاثا اياهم على أن يدخلوا البيوت خوفا عليهم حتى من أشعة الشمس !!

بعد ذلك ، وفي المساء ، يطوف في الزقاق ، يسأل الناس اذا كانوا في حاجة لخدمة يقضيها لهم .

بقلم فؤاد ميرزا

هذا الحمال الذي لم يكن له أحد ، ويربح أرباحا جيدة ، كان يفرّق نقوده بين الصبية والفتيان ، كما كان يدفع بأكياس الهيل الى عوائل الزقاق جميعا ، مما كان يكفيهم من هذه المادة الكمالية تماما . لا أحد يعرف سر ولعه بالهيل على الرغم من ان أحدا لم يشاهده يلوك واحدة منها .

كان فتيان الحي يحبونه حبا كبيرا ، وكانوا يزورونه في غرفته المنعزلة في الخان ، ولقد أطلقوا عليه لقب الاصفهاني .

في حيّ من أحياء لندن الآن ، متحف مغمور للانتيكات الشرقية ، فيه بوابة ضخمة ، كتب عليها طلسم غامض ، خطّ بيد واهنة وبالبوية الخضراء ، تآكل بفعل الشمس : « مات الاصفهاني .. يرجى عدم المراجعة بشأنه » .

كل شيء أخضر

كان مصابا بالصرع ، حالة نادرة من الصرع تجعل الجسم ينام يسكن ويهمد ، حتى ليخيل انه ميت . لم يكن أحد يعرف عن مرضه شيئا . له صديق أو صديقان تعرّف بهما أثناء رحلاته الطويلة بين الخانات . كان يبيع الجبن ، ولقد أطلعته النسوة الساحرات ، على انه « سيعيش عشرات المرات ، ويموت مرة واحدة » . كان يسقط فجأة ويبقى لساعات طويلة ويستمر ليوم أو يومين وهو على حاله ذاك ، وكان يحلم « بالرجل الاخضر » . « حلم ذات يوم ان الرجل الاخضر كان قد ظهر ، وكان واقفا في رقعة خضراء ، تمتد فوقه سماء خضراء ، وتستحيل كل الاشياء التي يلمسها الى اللون الاخضر . كان عدد من الناس حوله ، قد اجتمعوا غير مصدقين ، وكان هو بينهم . حينذاك اقترب الرجل الاخضر منه ومسّ ذراعه ، فأطاعه ، ورقد على الارض.

رفع الرجل الاخضر سيفه وهوى به فشطره الى شطرين دون أن تراق قطرة دم واحدة . اعاده الرجل الاخضر بعد ذلك الى الحياة وقال له : ـ انك سنصبح من أعواني » .

كان يوما مطيرا ، فيه برد ورعد ، ولقد وصل رجل الجبن الى بغداد . دخل احدى الخانات التي تؤوي مسافري الليل والغرباء بأجور زهيدة . لم يكن أحد يعلم عن مرضه شيئا ، ولقد كان متعبا فلم يخبر أحدا . سقط رجل الجبن واستحال فوق الارض جثة. كان هناك من يتكلم قربه ...

ـ هل تعرفونه ؟
ـ لا .
ـ هل يملك أوراقا أو هوية ؟
ـ لا .
ـ أهذه أمتعته ؟ سننقلها الى « المركز» .

رفعت الجثة وامتدت أكفّ تشبه الكلاليب لرجال يرتدون بدلات الشرطة . مضت هذه الايدي بالجثة الى الشوارع والهواء والليل والظلام ، وانحرفت أخيرا لتدخل في رواق طويل أبيض فيه مصاطب من الخشب بنيّة اللون . وضع الرجال الجثة وكان الشرطي الذي جلس ينتظر حضور طبيب الخفر ، ويدخن سيجارة ، تنبىء عيناه ، انه كان يتطلع الى نجيمات ذاوية كانت تذرّ في عينيه النعاس . كان طبيب الخفر على عجلة من أمره ومتعبا دون شك . دوّن بسرعة في ورقة ترخيص الدفن « الوفاة طبيعية » . رفعت الجثة من جديد الى هواء الليل ، وسارت هذه المرة فوق عربة وهي تهتز ، وقد امتدت أصابع الجثة ، لترسم خطوطا معتمة لم يلحظها أحد ، فوق الغبار المتراكم في حوض العربة ، خطوطا متشنجة طويلة ، انتهت فجأة عند أصابع مكتنزة هامدة . سكب ماء بارد فوق الجثة ، حيث كانت مسجاة فوق حجارة المغتسل الرخامية . في مكان ما كانت الحفرة قد هيئت وكوم التراب على الجانبين .

ظلام حالك يلفّ المقبرة . حارس المقبرة والشرطي ورجل المغتسل كانوا ثلاثتهم فقط متأهبين الآن ، لدفع الجثة المجهولة الى مصيرها الاخير .

فجأة اختلجت لفائف الكفن البيض ودبّت فيها الحركة . كانت الجثة قد نهضت وانتصبت واقفة ، وفي عينيها ارتسمت صورة الرجل الاخضر ، فابتسمت وبحب .

رجل المغتسل وحارس المقبرة والشرطي ذعروا . غير ان أصابع الشرطي كانت قد تحركت بشكل غريزي وامتدت الى المسدس ...

دوت ثلاث طلقات نارية ، وسقطت الجثة من جديد . هامدة . وقد تلوثت لفائف الكفن بدماء . بدت في ظلام الليل الموحش ، خضراء اللون .

اسطنبول

الوطواط

تسلمت المفتاح وقصدت غرفتي بخطى منعبة . لقد قضيت صباحا مرهقا جدا ، قضيته بالتنقل من دائرة الى أخرى من أجل اكمال معاملة تعييني . ومن نافذة غرفتي شاهدت سطوح المنازل تتلاحق بشكل غريب ، وكأنما البيوت نفسها متداخلة بعضها ببعض . جاءني عامل الفندق بعد قليل ، وهو رجل عجوز أشيب. وقف عند الباب ، وبقي صامتا . عرفت فيه عامل الفندق لانني شاهدته في الاسفل .

ـ آتني بقدح من الشاي ، وأرجوك أن تغير هذه الشراشف .

لم ينطق بكلمة . بل ذهب بسرعة وبنشاط لا يتناسب مع عمره ولبى طلبي . لا أعرف لماذا أحسست تجاهه بالشفقة وهو يحاول تغيير شراشف السرير . كان عمره مقاربا لعمر أبي .

ـ أنا آسف لانني أتعبتك .
لم يتكلم !
ـ هل أنت هنا منذ زمن ؟
لم يتكلم !
ـ يا عم ألا تسمعني ؟

وهنا أدار وجهه اليّ . وبخطى رتيبة هذه المرة وبعينين خائفتين مرق من أمامي ، وانسلّ بهدوء الى خارج الغرفة .

في اليومين الاولين تعرفت بشاب كان يقيم في الغرفة التي تجاور غرفتي . وحينما كنا مجتمعين ذات مساء نحتسي في الشرفة أقداح البيرة ، لمحت رأس العامل ، وهو يعبر الزقاق ويختفي في أحد البيوت الخربة ..

ـ لقد كنت أكلم هذا العامل منذ يومين ، لكنه لم يكن يرد عليّ ، أهو أصم ؟
ـ بل انه مجنون .

شرقت في البيرة ، ودفعت بما تبقى منها الى خارج فمي :

ـ مجنون ؟!
ـ لا أعرف بالضبط ، ولكنه يبدو لي هكذا ... أو ربما هو بليد أو متخلف عقليا .
ـ كيف ذلك ؟
ـ أترى هذا البيت الذي دخل فيه ؟ انه بيته ، وتعيش فيه زوجته ... وانك لو ترى زوجته ، فلن

تصدق ذلك .. شابة في غايـــة الجمال .. سنذهب لزيارتها هذه الليلة اذا رغبت .

ـ هل تعني انها ...؟!
ـ نعم .
ـ وزوجها ؟!
ـ انه يبقى في الخـــارج ، كي يراقبك ، كيف تخلو معها .

ذهبنا تلك الليلة اليها ، فوجـدنا عامل الفنـدق (زوجها) وقد وضع رأسه في حجرها وراحت تداعب شعره كما لو كان طفلا . حينما خرجنا تبعنا هذا الرجل الغامض ، وودعنا بابتسامة مروعـــة أحسست معهـا بقشعريرة باردة تسري في بدني . قلت : ـ هذا الرجل رهيب .

ـ هذا ليس كل شيء ، فانك لو عرفت عن سلوكه شيئا آخر لازددت عجبا . فانه بعـد أن ينهي عمله في الفندق ، حيث يبقى حابسا نفسه طوال النهار ، يهرول بسرعة ليختفي في بيته . ولا يخرج مـــن هناك حتى ينتصف الليل وتخلو الشوارع تماما من المارة ، ينطلـق بعدها في جولة طويلة لا يعود منها حتى يخـــرج أول انسان وتبدأ الحياة في الحركة ، ويعود أدراجه سـائرا لصق الجدران ممزقـــا قماش دشداشته ، لشـدة احتكاكه بها .

كان أمر هذا الرجل قد شغلني وأرعبني تماما . ولقد قررت أخيرا أن أتبعه في مرة من مرات تطوافـه الليلي . وأعددت لذلك عدتي : شربت كمية كبيرة مـن القهوة ، كي أبقى يقظا ، وفي منتصف الليـل تقريبا ، أطفأت نور غرفتي ، وخرجت الى الشرفة ، أرقب بـاب بيتـــه .

لم يطل انتظاري ، فبعد نصف ساعة خرج رأس صغير ، توهمت في البـــدء انه ليس رأس بشري .. تلفت يمنة ويسرة ، وحينمـــا تأكد من خلو الشارع تماما ، دفع بكل جسمه الـى الخارج ومضى سائرا . نزلت بسرعـــة حتى انني أيقظت بعض نـــزلاء الفندق بضجيجي . كان الرجل قد وصل الـــى نهاية منعطف واختفى هناك . فكرت انها فرصة سانحـــة أن أخرج الآن ، حيث أستطيع أن أتبعه وأراقبه دون أن يشعر بوجودي . مضيت أتبعه لنصف ساعة ، كـان يتحرك بخطى ثابتة ، ورياح الليل تـداعب إردان دشداشته . كان هو يسير وسط الشوارع . أما أنا فمختفيا فـي كسرات الجدران وخلف شجيرات الارصفـة . فجـأة أحسست بدوار في رأسي ، وحينمـا فتحت عينيّ ، وجدته قد اختفى .

خرجت من مخبئي وعدوت في الشوارع .. كنت متيقنا ان نزهاته الليلية هذه تحمل سرا غامضا ، كـان فضولي الشديد يدفعني لاكتشافه . ومـــن ثنية في الشارع ، وأنا ما أزال أعدو ، قفز عليّ جسم ما ، لـه وجه أطلّت منه وحشية مرعبة . لا أتذكر كيف عـدت الى الفندق وأيقظت صديقي من نومه وأخبرته بالامر . كانت الدماء قد سالت من وجهي وبللت قميصي ببقـع كثيرة .

نبّه صديقي بدوره عددا مـــن نزلاء الفنـدق ، وذهبنا جميعا الى ذلك البيت المهـــدم ، دفعنا الباب فانفتح . كانت هناك الزوجة الشابة ، وزوجها العجوز الاشيب مشدود الى صدرها تداعب شعره .

كان يردد : ـ اني خائف ..

وكانت هي تبكي .

بغداد

صدر حديثا

التراث الفلسطيني والطبقات

تاليف

علي الخليلي

« غايـة هذه الدراسة ، في الاساس ، مساهمتها في تكريس التـراث الشعبي العربي الفلسطيني داخل نمو الثورة وتصاعدها .. واداة الدراسة المركزيـة هي الامثال الشعبيـة الفلسطينية باعتبارهـا جـزءا اساسيا من التراث الشعبي الفلسطيني ... وهـي تؤكد القدرة الفذّة لمجتمعنـا العربـي الفلسطينـي على الصمود والحيوية والنمو والتطـور طالمـا هـو محتفظ بتراثه الشعبي ، هذا التراث الـذي تحـاول الامبريالية والصهيونية ، متساندتيـن متلاحمتين ، قتله وتدميره ، انكـارا لوجود شعب فلسطينـي .. ولذلك فان كل احياء واثراء ونشر وتعميـق وتحليل للتراث الشعبـي الفلسطيني بكافة اشكاله والوانـه هو دعم للثورة وتكريس لها ، كما انه اضاءة للمنافـي الفلسطينية ولحمة لها .. »

ـ من المقدمة ـ

منشورات دار الآداب